التنكير والتعريف
بين القلق المفهومي والاستعمال

محمد مرتضى صادق(*)
mmortada273@gmail.com

ملخص

يحاول هذا البحث إعادة النظر في مفهومي النكرة والمعرفة (فقط) في ضوء تحكيم الدلالة، فهي وحدها قادرة على تحديد مفهوم وافٍ لكلا العنصرين، وقد علمنا أن أكثر النحاة حصروا النكرة في (الشيوع والإبهام)، وأما المعرفة فقد أدرجوا تحتها أقسامًا، فإذا أردنا أن نختبر المعارف في ضوء ما كان يُفترض مسبقًا من أنها لا يمكن أن تتصف بـ(الشيوع والإبهام) اللذين وُصفت بهما النكرة، وجدنا أن هناك معارف يصدق عليها أحيانا الإبهام والشيوع، فلا يصح – من ثَمَّ – وصفُها بالتعريف، ولمَّا تبين أن المعارف قد يصدق عليها ما وُصفت به النكرة من الشيوع والإبهام، اتضح أن المشكلة الحقيقية كانت في المعرفة، فهي ما يحتاج بحق إلى محاولة لوضع أسس ومعايير يصح وصفها بالتعريف متى تحققت، وذلك في ضوء الدلالة فقط؛ بمعنى أنها إذا اقترنت تلك اللفظة بما يجعلها معروفةً صارت معرفة.

الكلمات المفتاحية: التنكير – التعريف – القلق المفهومي – الاستعمال.

* مدرس النحو والصرف – كلية الآداب – جامعة المنوفية

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تقديم:

تنطوي قضية التنكير والتعريف على إشكاليةٍ مفادُها الاضطرابُ الملحوظُ بين المفهوم النحوي والاستعمال العربي لهما؛ حيث حصر أكثر النحاة مفهومي (المعرفة والنكرة) في دائرة الشيوع في الجنس، فإن شاع في جنسه عُدَّ نكرة، وإلا عُدَّ معرفةً، يقول ابن الأنباري: «**فإن قيل: ما حدُّ النكرة والمعرفة؟ قيل: حد النكرة ما لم يخص الواحد من جنسه، نحو: (رجل، وفرس، ودار) وما أشبه ذلك، وحدُّ المعرفة ما خصَّ الواحدَ من جنسه**(١)».

وحصر المفهومين في دائرة الشيوع أمر فيه نظرٌ؛ فمن المعارف – مثلًا – الأعلام؛ فإنها قد تشيع في جنسها، ففي البيت الواحد قد نجد أكثر من (محمد)، وفي كل بلد نجد أكثر من مدرسة تحمل – مثلًا - اسم (مدرسة مصطفى كامل)، وفي المقابل نجد أن من النكرات ما لم يشع، كـ(رسولا) في قوله تعالى: (**كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ ءَايَاتِنَا**) [سورة البقرة ٢ / ١٥١]، فإن الله لم يُرسل في قريش غيرَ سيدنا محمد، فـ(رسولا) ليست شائعة في جنسها؛ وإنما هي خاصة جدًّا!

وعندما تعرضوا لـ(المعرفة) اكتفوْا بذكر أقسامها، ثم قالوا: (والنكرة ما سوى ذلك)! وكأنهم اطمأنوا إلى تعريف (المعرفة) بما قسموه تحتها، ثم عدُّوا ما عداها نكرة، والحق أن ذكر أقسام الشيء دون إرساء مفهومه أمر غيرُ كافٍ، إذ إننا نصل في النهاية إلى أن مفهوم كلا الطرفين لا يزال يحتاج إلى إعادة نظر!

ومن هنا تصبح أقسام المعارف التي استقر عليها النحاة محل نظر، حتى يئس النحاة من إمكان تحديد مفهوم يحاول أن يستوعب تلك الشواهد المتناقضة، وهو

ما أشار إليه ابنُ مالك في قوله: «**مَن تَعَرَّضَ لحدِّ المعرفة عجز عن الوصول إليه دون استدراك عليه؛ لأن من الأسماء ما هو معرفة معنى نكرة لفظًا، وعكسه**، وما هو في استعمالهم على وجهين:

فالأول: نحو قولهم: (كان ذلك عامًا أول، وأول أمس) فإن مدلول كل واحد معين لا شياع فيه، ولكنهما لم يُستعملا إلا نكرتين.

والثاني: نحو قولهم للأسد: (أسامة) فإنه يجري في اللفظ مَجرى (حمزة) في منع الصرف، والاستغناء عن الإضافة والألف واللام، وفي وصفه بالمعرفة دون النكرة، واستحسان مجيئه مبتدأ وصاحب حال، وهو في الشياع كـ(أسد).

والثالث: كـ(واحد أمِّه، وعبد بطنِه) فإن بعض العرب يُجريهما معرفتين بمقتضى الإضافة، وبعض العرب يجعلهما نكرتين، ويدخل عليهما (رُبّ) وينصبهما على الحال([٢])».

ونصُّ ابن مالك يشير إلى ضرورة الاستدراك على مفهومي التعريف والتنكير بالنظر إلى الاستعمال الذي قد يخالفه أحيانًا، والوعي بالاستدراك كان يستتبع حتمًا محاولة معالجتهما بالنظر إلى الدلالة التي يُقترحُ أن تكون هي الحاكمة في إحكام هذا الباب كله. وسأسير في محاولة لإرساء مفهومين مقنعين للمعرفة والنكرة بتحكيم الدلالة وحدَها، وذلك وفق نقطتين:

- ما هو معرفةٌ لفظًا نكرةٌ دلالةً.

- ما هو نكرةٌ لفظًا معرفةٌ دلالةً.

المبحث الأول: ما هو معرفةٌ لفظًا نكرةٌ دلالةً:

يحاول هذا المبحث اختبار أنواع المعارف التي افترض مسبقًا أنها لا يمكن أن تتصف بما اتصفت به النكرة من شيوع وإبهام، غير أن تحكيم الدلالة في المسموع العربي يوصل إلى أن أنواع المعارف المعروفة قد تتصف في بعض أحوالها بالشيوع والإبهام، ومن ثَمَّ لم يعد يصح وصفُها بالتعريف، وذلك كما يأتي:

١ – الضمائر المعرفة لفظًا النكرة دلالةً:

إذا افترضنا أن أحدًا طرق بابًا مغلقًا، فقيل له: (مَن الطارق؟) فقال: (أنا)، فإننا نقف أمام الضمير (أنا) الذي عدَّه النحاة معرفةً رغم أن الطارق لا يزال مبهمًا بالنسبة لصاحب الدار! ومن هنا كره النبي – صلى الله عليه وسلم – أن يقول المستأذن: (أنا)، فقد جاء في صحيح مسلم: «**عن جابر بن عبد الله قال: استأذنت على النبي – صلى الله عليه وسلم – فقال: (مَن هذا؟) فقلت: (أنا)، فقال النبي – صلى الله عليه وسلم -: (أنا أنا)!**([٣])».

فالضمير ليس مُطلق التخصيص، وإنما هو مقيد التخصيص؛ لأنه يفتقر إلى ما يخصصه، فإذا قال: (أنا فلان) ولم يكن (فلان) هذا شائعًا ضمن معارف السائل فإنها تصير معرفة، ليس بذاتها، وإنما بما افتقرت إليه، يدل على ذلك قول ابن مالك: «**وقولنا (مطلقًا) مُخرجٌ للمضمرات؛ فإن كل واحد منها مخصوص باعتبار، غير مخصوص باعتبار، وذلك أن لفظ (أنا) وُضع ليخص به المتكلمُ نفسَه، ولكل متكلم منه نصيبٌ حين يقصد نفسه، فهو مخصوص باعتبار كونه لا يتناول غيرَ الناطق به، وغير مخصوص باعتبار صلاحيته لكل مخبر عن نفسه**([٤])».

ولو تأملنا قوله تعالى: (**قَالُوا أَءِنَّكَ لَأَنْتَ يُوسُف قَالَ أَنَا يُوسُفُ**) [سورة يوسف ١٢ / ٩٠]، ووقفنا أمام الضميرين (أنت – أنا) لوجدنا أن الضمير (أنت) غير معرفة بحكم كونه سؤالًا لم يتبين جوابه بعدُ، وكذا الضمير (أنا) فهو وحده نصف الجواب، و(يوسف) نصفه الآخر، فلو رد بـ(أنا) لاحتمل أن يخبر عنه باسم آخر، ولو رد بـ(يوسف) لاحتمل أنه يكرر سؤالهم فقط، فلما قال: (أنا يوسف) كانت المعرفة في المسند لا المسند إليه، يدل على ذلك قول ابن مالك: «**وكذلك يُعرض للعلم ما يجعله أعرف من ضمير المتكلم؛ كقول مَن شُهر باسم لا شركة له فيه لمن قال له: (مَن أنت) أنا فلان، ومنه قوله تعالى: (أنا يوسُفُ)، فالبيانُ لم يُستفد بـ(أنا) بل بالعَلَم بعدَه**(٥)».

ومن الضمائر المعرفة لفظًا المنكرة أيضًا الضمائر الملبسة؛ كما في قولنا: (قام عمرو وزيد كلمته) فالهاء في (كلمته) لا ندري هل هي تعود على عمرو، أم على زيد؟ وكونها ملبسة فإنه لا يستقيم وصفها بالتعريف؛ لما فيها من إبهام يرجح كفة تنكيرِها.

ومنها الضمائر التي لا تشغل الذهن بذكرها أو بحذفها أو استبدالها؛ حيث ذهب النحاة إلى أن المعرفة تمثل ثقلًا معنويًّا يتمثل في انشغال ذهن المتكلم بالصفة التي اختصت بها المعرفة، وهو ما لا يتوفر في النكرة بحكم شيوعها(٦)، وعليه فهناك ضمائر لا هي معرفة؛ لأن الذهن لم ينشغل بها في حال ذكرها، ولا هي نكرة؛ لأنها لا تدخل في إطار الشيوع والإبهام، ومن ذلك ضمير الفصل، كما في قوله تعالى: (**فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ**) [سورة المائدة ٥ / ٨١]، فهو فقط يفصل بين الخبر والصفة، فلو كانت الآية: (كنت الرقيب عليهم) لفهمنا أيضًا أن الله – تعالى – هو الذي كان رقيبا عليهم، ولما انشغل الذهن بما حُذف، ومنه قوله تعالى: (**وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِّنْ خَيْرٍ**

تَجِدُوهُ عِنْدَ اللهِ هُوَ خَيْرًا) [سورة المزمل ٧٣ / ٢٠]، فلو كانت: (تجدوه عند الله خيرًا) لما انشغل الذهن بالضمير المحذوف.

ومن هذه الضمائر أيضًا ضمائر التثنية أو الجمع المتصل بالفعل ملاءمةً لعدد الفاعل على لغة (أكلوني البراغيث)، ومنه قوله (صلى الله عليه وسلم): «**يَتَعَاقَبُونَ فِيكُمْ مَلَائِكَةٌ**»، فواو الجماعة في (يتعاقبون) لو عُدَّتْ علامةً لجمع الفعل ملاءمة للفاعل (ملائكة) لأغنت عنها (ملائكة)، ولو عُدَّتْ فاعلا لم يُعلم مَن المتعاقبُ حتى يُقال (ملائكة) التي هي بدل ركيزة في سياقها لا غنى عنها، فالضمير على كل حال لا يفيد تعريفًا ينشغل به الذهن، وهو في حال الاكتفاء به مبهم غير خاص.

ومن هذه الضمائر ضمير الشأن أو القصة، كما في قولنا: (**إنه لا تقوم الساعة حتى يخرج المهدي**)، فالهاء في (إنه) ضمير يعود على (الشأن)، ولو قلنا: (**إنها لا تقوم الساعة حتى يخرج المهدي**)، فالهاء في (إنها) ضمير يعود على القصة، وعلى الرغم من أن (الشأن والقصة) معرفتان، إلا أنها معرفة لفظًا نكرة معنًى؛ لأنها على أحد الاحتمالين (الشأن أو القصة) لا يتأثر المستمع إلا بمضمون القصة، أو الشأن، وعليه فلفظ الشأن أو القصة في ذاته لا يفيد تعريفًا، وإنما الذي يفيد التعريف هو المضمون، ومن ذلك قوله تعالى: (**فَإِنَّهَا لا تَعْمَى الأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى القُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ**) [سورة الحج ٢٢ / ٤٦]، فالضمير في (ها) ضمير القصة، التي لا تفيد تعريفًا بلفظها، وإنما التعريف متمثل في مضمونها وهو (عميان القلوب لا الأبصار)، يدل على ذلك أن الآية الكريمة قُرئت: (**فإنه لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور**)([٧])، بـ(إنه) لا (إنها) فهي إذن تعود على القصة، ولا يزال الذهن منشغلًا بالمضمون لا اللفظ.

٢ – الأعلامُ المعرفة لفظًا النكرة دلالةً:

ذكر النحاة أن العلم يختلف عن غيره من المعارف في أنه لا يتقيد بآخر، كالإشارة التي تتقيد بالمشار إليه، والمحلى بـ(ال) الذي يتقيد بـ(ال)، ولا أرى إلا أن العلم أيضًا يتقيد بغيره، فلا علمية لـ(زيد) بدون مسمى، وإلا ظُنت كلمة (زيد) مصدرًا من (زاد)، ولا علمية لـ(القاهرة) من دون الأرض المسماة بها، وإلا ظُنَّت اسم فاعل من (قهر)... فالعلم إذن شأنه كشأن غيره من المعارف المفتقرة إلى ما يُكمل تعريفها.

ومن ذلك الأعلام الشائعة في جنسها لدى المتلقي الفرد أو الجماعة؛ فإذا شاع العلم في جنسه عند المتلقي صار العلم بالنسبة له نكرة، فإذا فرضنا أن طالبًا كان له ثلاثة أصدقاء اسمهم جميعا (محمد)، فقيل له: (محمد نجح) لم يكن يعلم أي هؤلاء الناجح، حتى يُقال له: (محمد بن فلان)، فيتصل بما يميزه عن غيره، فهو رغم علميته فهو شائع في جنسه (لدى المتلقي) فهو إذن في حكم النكرة. وقد يشيع العلم (لدى المجتمع) كأن نقول في مصر – مثلا – إن المدرسة المثالية هي (مدرسة مصطفى كامل) فإنه يكاد يوجد في كل مركز ومحافظة مدرسة تحمل الاسم نفسه، فلا يُعلم المقصود حتى يُقال: (مدرسة مصطفى كامل بمدينة كذا).

ومن ذلك الأعلام المبهمة المقصودة مقترنة بأعلام غير مقصودة أعرف منها مشتركة معه لفظًا؛ وذلك كأن نقول: (**أجاد قيس في شعره، وليس قيسًا بن الملوح، ولكنه قيس آخر**)، فـ(قيس آخر) رغم أنه علم إلا أنه منكر بحكم اقترانه بعلم آخر أعرف منه، وكأن نقول: (**تزوج سيدنا موسى من ابنة شعيب، وليس شعيبًا النبي، ولكنه شعيب آخر**)، فـ(شعيب آخر) رغم أنه علم إلا أنه منكر بحكم اقترانه بما هو أعرف منه، وقد أشار ابن مالك إلى ذلك، فقال: «وقد يُنكَّر العلم

تحقيقًا أو تقديرًا فيُجرى مجرى نكرة... كقولك: رأيت زيدًا من الزيدين، وما من زيد كـ(زيد بن ثابت)... وليس موسى بني إسرائيل، وإنما موسى آخر([٨])».

ومن ذلك الأعلام الواقعة في موقع اسم لا النافية للجنس؛ فـ(لا) النافية لا يأتي بعدها إلا النكرات الشائعة في جنسها، فإذا قلنا: (لا رجل في البيت) فإننا ننفي وجود جنس الرجال جميعًا في البيت، فإذا وضعنا العلم موضع (رجل) صارت نكرة مثلها، كأن نقول وقد زال خطر مجرم معروف كـ(شارون): (**لا شارونَ بعد اليوم**)، فـ(شارون) رغم أنه علم معروف إلا أنه وقع موقع ما يُنفى شيوعُه في جنسه، وكقول أبي سفيان بن حرب بعد غزوة (أُحُد): «**أَلا لَنَا العُزَّى وَلا عُزَّى لَكُمْ**)، فرغم أن (العزى) علم على صنم معروف إلا أنه وقع موقع ما يُنفى شيوعُه في جنسه في قوله: (لا عزَّى لكم).

ومن ذلك الأعلام المثناة أو المجموعة المقترنة بالأعلام المفردة؛ كأن نقول: (**لم يشتهر من الأخافش النحوية إلا الأخفش الأوسط سعيد بن مسعدة**)، فـ(الأخافش) نكرة معنًى؛ بحكم جمعها وشيوعها في جنسها؛ لأن هناك أخفشَ أكبرَ، وأوسطَ، وأصغرَ، يدل على ذلك قول ابن مالك: «وإذا ثُنِّيَ العلمُ أو جُمع نُكِّر، كقول الشاعر:

رأيتُ سُعودًا من شُعوب كثيرٍ فلمْ أَرَ سَعْدًا مثلَ سعدِ بن مالكِ([٩])».

فقوله: (سعودًا) نكرة؛ بحكم جمعها وشيوعها في جنسها، لذلك استثنى من كل السعود سعدًا بن مالك، الذي هو معرفة.

ومنه أعلام الجنس؛ نحو (أسامة) للأسد، و(ذؤالة) للذئب، فرغم أن (أسامة) علم فإنه علم على حيوان شائع في جنسه، فهو – بحكم شيوع معناه – نكرة، «**وهي باعتبار المعنى شائعة غير مخصوصة، إلا أنها تُستعمل استعمال ذي**

الألف واللام المعهود، فيقال: (هذا أسامة مفترسًا، كما يُقال: (هذا الأسد منظور إليه)، ويقال: (أسامة شر من ذُؤالة)، فتقصد بها الشمول، كما تقصد إذا قيل: (الأسد شر من الذئب)([١٠])».

٣ ـ أسماء الإشارة المعرفة لفظًا النكرة دلالةً:

الإشارة صالحة لما اتصف بالحال وحصل في المحل ؛ فإذا قلنا: (هذا علمٌ)، فإن (ذا) اسم إشارة إلى المفرد المذكر، فـ(ذا) مخصوص من ناحية وغير مخصوص من ناحية أخرى، فأما اختصاصه فلأنه لا يصلح أن يأتي مع المؤنث، أو المثنى، أو جمع، وأما عدم اختصاصه فلأنه يصدق على أي مفرد مذكر غير (علم)، وفي ذلك يقول ابن مالك: «**وكذا اسم الإشارة؛ فإن لفظة (ذا) وضع ليُخَصَّ به مشارٌ إليه مفردٌ مذكرٌ قريب، فهو مخصوص باعتبار الحال والمحل، غير مخصوص باعتبار صلاحيته لكل ما اتصف بالحال وحصل في المحل**([١١])».

ومن الإشارات المنكرة الإشارة إلى مبهم؛ ولمَّا كانت الإشارة من التعيينات المقيدة بالمشار إليه لم تكن كل إشارة معرفة على الإطلاق، وإنما تعريفها يكون مقيدًا بما تشير إليه، فإذا وقفنا عند قوله تعالى: (**ذَلِكَ الكِتَابُ لا رَيْبَ فِيهِ**) [سورة البقرة ٢ / ٢]، وجدنا أن (ذلك) اسم إشارة يُشير إلى معرفة، هي (الكتاب) ولما كانت الكتاب معرفة كانت الإشارة إليه معرفة، والإبهام في المشار إليه له ثلاث صور، هي:

ـ **الإشارة إلى مبهم غيرِ محددٍ؛** فإذا فرضنا أن شيئًا غامضًا ظهر فجأة، فقلنا: (ما هذا؟) كانت (هذا) إشارة إلى مبهم؛ فهو يسأل عن ماهية مبهم، فالتنكير من وجهين، السؤال، وغموض المسئول عنه.

- **الإشارة إلى مبهم غيرِ معلومٍ**، فيصير في حكم الإبهام، ومن ذلك قوله تعالى: (**فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلاءِ**) [سورة البقرة ٢ / ٣١]؛ وذلك أن المشار إلى أسماء لم تعهدها الملائكة ولم تعرفها، فالتعبير باسم الإشارة وحدَه ليس علامة على التعريف حتى يكون المشار إليه معروفًا بالفعل، ودليل عدم معرفتهم بهذه الأسماء قول الملائكة: (**سُبْحَانَكَ لا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا**) [سورة البقرة ٢ / ٣٢].

- **الإشارة إلى مبهم متخيَّلٍ**، فهو يدخل في إطار التنكير، وبخاصة إذا نُفيت عنه صفة من جنسه، وأثبتت له صفة من غير جنسه، ومن ذلك قول النسوة عن سيدنا يوسف: (**فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ**) [سورة يوسف ١٢ / ٣١] فهؤلاء النسوة تخيلن أن سيدنا يوسف ليس بشرًا، فالإشارة (هذا) بالنسبة لهؤلاء النسوة يشير إلى كائن يتصورنه على غير حقيقة جنسه (البشرية) فنفيْنها عنه، وأثبتن له صفة (الملائكية)، فهن إذن يُشرن إلى مبهم متخيَّل.

وقد يكون الإبهام في الإشارة متعمَّدًا يقصد إليه المتكلم قصدًا، فيشير إلى زَيف على أنه حق؛ وهنا يكون التنكير نتيجة للإشارة إلى مبهم من زيف المتكلم الذي تعمد تزييفه، فهو يشير إلى باطل يُحاول إثبات أنه حق، ومن ذلك قوله تعالى: (**فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا**) [سورة البقرة ٢ / ٧٩]، فـ(هذا) تشير إلى كتاب باطل يحاولون إكساءه ثوب الحق، فهو إذن غير معرفة، وإنما نكرة بحكم زيفها.

وقد يُشار إلى الحق على أنه زيف؛ وهو عكس السابق، ومنه قوله تعالى: (**وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقّ لَمَّا جَاءَهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ**) [سورة سبأ ٣٤ /

٤٣]، فـ(هذا) إشارة إلى (حق) - وقد جاءت في الآية بلفظها وصفتها (للحق) - على أنه باطل (سحر مبين)، وهو أيضًا غير معرفة بحكم تزييفها.

٤ – الأسماء الموصولة المعرفة لفظًا النكرة دلالةً:

وقد علمنا أن الأسماء الموصولة هي «**ما افتقر أبدًا إلى عائد أو خلفه، وجملة صريحة، أو مؤولة غير طلبية ولا إنشائية**(١٢)»، وافتقارها أبدًا إلى ما يكمل دلالة تعريفها يعني أنها تمثل نصف الأمر، والاكتفاء بها ضربٌ من التنكير، فإذا قلنا: (جاء الذي) فسكتنا، لم يكن ذلك كلامًا، حتى نكمل فنقول: (جاء الذي نجح) مثلًا.

والاسم الموصول قسمان (مختص) كالذي، والتي... و(مشترك) كـ مَن، ما... فالموصول المشترك يصدق على المفرد، والمثنى، والجمع، والمذكر والمؤنث، فنقول: (جاء من نجح، ومن نجحت، ومن نجحا، ومن نجحتا، ومن نجحوا، ومن نجحن)، واشتراكها بهذا الشكل يُخرجها من إطار الاختصاص إلى الشيوع، ومن ثَم التنكير.

ولمّا كان لفظ الموصول الاسمي المشترك مذكرًا فإنه إذا كان موصولا بمعنى مفرد مؤنث، فإن الفعل التالي له قد يُذكر بحسب لفظ الاسم الموصول، وقد يؤنث بحسب معناه، ومن ذلك قوله تعالى: (**وَمَنْ يَقْنُتْ مِنْكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحًا**) [سورة الأحزاب ٣٣ / ٣١]، فلفظ (مَن) مذكر، ولكن مدلوله مؤنث، وهو أي نساء النبي (صلى الله عليه وسلم)، يدل على ذلك أن الفعل (يقنت) بعده جاء مذكرًا بحسب لفظ الاسم الموصول، والفعل (تعمل) جاء مؤنثًا بحسب مدلوله، ويدل على ذلك أيضًا أن (يقنت) قرئت (تقنت) بحسب مدلول الموصول المؤنث، و(تعمل) قرئت (يعمل) بحسب لفظ الموصول المذكر(١٣).

والأصل في (أي) أنها «**وضعت على العموم، فإذا قلت: (يعجبني أيهم يقوم) فكأنك قلت: (يعجبني الشخص الذي يقع منه القيام كائنًا من كان)، ولو قلت: (أعجبني أيهم قام) لم يقع إلا على الشخص الذي قام، فأخرجها ذلك عما وُضعت له من العموم**([١٤])». فتعريفها بمجيء المضارع بعدها، وتنكيرها بمجيء الماضي بعدها.

وقد يُستعمل ما وُضع للعاقل في سياق اختلط فيه العاقل بغير العاقل؛ ومن ذلك (مَن) فالأصل فيها أن تأتي للعاقل، ولكنها – رغم ذلك – قد تأتي في سياق يختلط فيه العاقل بغير العاقل، كقوله تعالى: (**أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ**) [سورة النور ٢٤ / ٢٩] فالذي يسبح في السموات والأرض ملائكة، وإنس، وجن، وطير، وحيوانات، وحشرات... فهؤلاء منهم من هو عاقل، ومنهم من هو عاقل، وقد اكتسب هذا الاختلاط معنى الشيوع لا الاختصاص، ومن ثَمَّ التنكير.

ومنه قوله تعالى: (**وَاللهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِّنْ مَاءٍ فَمِنْهُمْ مَّنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَّنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَّنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ**) [سورة النور ٢٤ / ٤٥]، حيث اختلط العاقل (من يمشي على رجلين) بغير العاقل (من يمشي على بطنه، من يمشي على أربع) في سياق واحد جمع بينها جميعًا (كل دابة)؛ وعليه فلا تعريف لـ(من) في ذلك الخلط.

وقد يُستعمل ما وُضع لغير العاقل في سياق اختلط فيه العاقل بغير العاقل؛ وفي المقابل (ما) فإنها تأتي لغير العاقل، ولكنها – رغم ذلك – قد تأتي في سياق يختلط فيه العاقل بغير العاقل، كقوله تعالى: (**سَبَّحَ للهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ**) [سورة الصف ٦١ / ١]، وما قيل في الآية السابقة يُقال هنا.

وقد يُستعمل اسم الموصول للشرط؛ فقوله تعالى: (**فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ**) [سورة الزلزلة ٩٩ / ٧]، يدل على أن أي أحد يعمل خيرا يره، فمدلول (من) هو أي إنسان، فكيف تكون (من) معرفة ودلالتها الشيوع؟ وكذلك قوله تعالى: (**وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللهِ هُوَ خَيْرًا**) [سورة المزمل ٧٣ / ٢٠]، فمدلول (ما) هو أي شيء يُقدمه أي أحد، فكيف تكون (ما) معرفة ودلالتها الشيوع؟ وقد ذكر ابن مالك أن (ما ومن) إذا أُفردتا من معنى الشرط عُدَّتا نكرة([١٥])، وأرى أنها تُنكر حتى وإن دلت على الشرط كما مثلتُ.

والأسماء الموصولة المشتركة نكرة بحكم إبهامها؛ وذلك بأن يكون مدلولها مجهولا لدى المتكلم، كأن يظهر شيء غريب، فلا ندري ما هو، فنقول: (**انظر ما ظهر**)([١٦])، فالمتكلم لا يعرف الشيء الذي ظهر، وإبهامه بالنسبة له يجعل الموصول نكرة لا معرفة.

ومنه قوله تعالى: (**إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا**) [سورة آل عمران ٣ / ٣٥]، فامرأة عمران لا تعرف جنس ما في بطنها، فكيف تكون (ما) معرفة، ومدلولها مبهم بهذا الشكل؟

وكذلك إذا طُرق الباب، فقال صاحب الدار: (**مَنِ الطارق؟**) فإن السائل لا يعرف أصلا من الذي طرق الباب، فكيف تكون (من) معرفة ومدلولها مبهم بهذا الشكل؟ وقد ذكر ابن مالك أن (ما ومن) إذا أُفردتا من معنى الاستفهام عُدَّتا نكرة([١٧])، وأرى أنها تُنكر حتى وإن دلت على الاستفهام كما مثلتُ.

٥ ـ المعرف بأل المعرف لفظًا المنكر دلالةً:

النمط الأول: المحلى بـ(ال) الجنسية المعرفة لفظًا النكرة دلالة:

يكون الاسم المحلى بـ(ال) الجنسية – بحكم دلالتها على الشيوع – نكرة، ولتنكيرها أدلة:

أ ـ الاستثناء منها:

ومن ذلك قوله تعالى: (**وَالعَصْرِ إِنَّ الإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ**) [سورة العصر ١٠٣ / ١ – ٢]، فـ(الإنسان) شائعة في جنسه، أي: (كل إنسان خاسر) يدل على ذلك استثناء (الذين آمنوا وعملوا الصالحات)، وقد أشار ابن مالك إلى ذلك، فقال: «**فلولا أن أداة التعريف اقتضت شمول الحقيقة والإحاطة بأفرادها، لم يستثن (الذين آمنوا) من المعرف بها، وهو (الإنسان)**(١٨)».

ب ـ نعتها بالجملة:

فالجملة لا تصف إلا النكرات، فإذا وصفت اسما محلى بـ(ال) دل ذلك على جنسيتها، ومن ثم شيوعها، ومن ثم تنكيرها، وقد أشار ابن عقيل إلى ذلك، فقال: «**تقع الجملة نعتًا، كما تقع خبرًا وحالًا، وهي مؤولة بالنكرة، ولذلك لا يُنعت بها إلا النكرة... وزعم بعضهم أنه يجوز نعت المعرف بالألف واللام الجنسية بالجملة، وجعل منه قوله تعالى: (وآيَةٌ لَّهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ)**(١٩)**، وقول الشاعر:**

ولقد أَمُرُّ على اللئيم يَسُبُّنِي فمضيت ثمَّتَ قلت: لا يعنيني(٢٠)(٢١)».

فجملة (نسلخ)، وجملة (يسبني) صفة من (الليل)، و(اللئيم) وهما معرفتان لفظًا نكرتان دلالة، وقد أشار الشيخ خالد الأزهري إلى ذلك، فقال: «**وصح نعته**

بالجملة بالنظر إلى معناه، فإن المعرف بـ(ال) الجنسية لفظه معرفةٌ، ومعناه نكرةٌ([٢٢])».

النمط الثاني: المحلى بـ(ال) الزائدة المعرفة لفظًا النكرة دلالة:

الصورة الأولى: الحال المحلى بـ(ال) المحول عن النكرة:

والأصل في الحال أن يكون نكرة، وذلك لئلا تلتبس بالصفة، فإذا قلنا: (شاهدت زيدًا الضاحك) على أن (الضاحك) حال، لظُن أنها صفة، لذلك وجب تنكيرها فنقول: (ضاحكًا)([٢٣])، وعليه فالحال المحلاة بـ(ال) نكرة في أصلها، «**ومنه قراءة (لَيَخْرُجَنَّ الأعزُّ منها الأذلَّ)**([٢٤]) **[سورة المنافقين ٨]، أي: (ليخرجن الأعزُّ منها ذليلًا)، وكقول بعض العرب: (ادخلوا الأول فالأول، أي: أولا فأولا، ومنه قول الشاعر:**

دُمتَ الحميدَ فما تنفكُّ منتصرًا على العِدَا في سبيل المجد والكرمِ([٢٥])([٢٦]).

الصورة الثانية: التمييز المحلى بـ(ال) المحول عن النكرة:

الأصل في التمييز أن يكون نكرة أيضًا قياسًا على الحال الذي يكون نكرة، والمشترك بينهما أن كليهما يبين ما قبله([٢٧])، وعليه فكل تمييز معرفة لفظًا هو في معناه نكرة، ومنه قول الشاعر:

رأيتُك لمّا أن عرفتَ وجوهَنا صددتَ وطبتَ النفسَ يا قيسُ عن عمرو([٢٨])

النمط الثالث: المحلى بأل الدال على الشيوع:

هناك ألفاظ دالة على الجمع معرفة بـ(ال) ولكنها في ذاتها دالة على الشيوع، نحو: (الناس، الورى، الخلق، البشر، النساء...) فالألف واللام فيها دالة على الشيوع لا الخصوص، فهي في حكم النكرات.

المبحث الثاني: ما هو نكرة لفظًا معرفة دلالةً:

يمكن اعتبارُ الدلالة في الحكم على اللفظ بالتعريف دونما النظر إلى حالة اللفظ من حيث التنكير والتعريف، فالدلالة قد تحكم على لفظ يبدو نكرة لفظًا بالتعريف، وعلى آخر يبدو معرفة لفظًا بالتنكير، كما سيتضح فيما يأتي:

١ – النكرة لفظًا المَعْرِفَة دلالةً بقرينة معرفية:

حيث تحكم الدلالةُ على النكرة لفظًا بالتعريف إذا اقترن ذلك اللفظ بلفظ دال على أنه معروف، كأن يدل على أنه معلوم، أو معروف، أو مُذاع، أو مُسمّى، أو مُعيّن... واقترانه بما يفيد كونه معروفًا معلومًا يفيد بأنه معرفة ولو كان ظاهره التنكير، كما سيتضح في الأمثلة الآتية:

- قوله تعالى: (**الحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ**) [سورة البقرة ٢ / ١٩٧]، فكلمة (أشهر) نكرة لفظًا، ولكنها معرفة دلالةً، إذ لا يُعقل أن يحكم على لفظ معلوم (معلومات) بالتنكير ، «والأشهر المعلومات هي: شوال، وذو القعدة، وعشر ذي الحجة([٢٩])».

- قوله تعالى: (**وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللهُ**) [سورة البقرة ٢ / ١٩٧]، فكلمة (خير) نكرة لفظًا، ولكنها معرفة دلالةً، والقرينة الدالة على المعرفة هي (يعلمه الله).

- قوله تعالى: (**وَيَعْلَمُ مَا فِي الأَرْحَامِ**) [سورة لقمان ٣١ / ٣٤]، فكلمة (ما) نكرة لفظًا، ولكنها معرفة دلالةً، والقيد الدال على المعرفة هي (ويعلم).

- قوله تعالى: (**وَلَـكِن لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّا أَن تَقُولُوا قَوْلًا مَّعْرُوفًا وَلَا تَعْزِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّـهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ**) [سورة البقرة ٢ / ٢٣٥]، فكلمة (سرا) نكرة لفظًا، ولكنها معرفة دلالةً، والقرينة الدالة على المعرفة هي: (واعلموا أن الله يعلم ما في أنفسكم).

- قوله تعالى: (**وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللهَ بِهِ عَلِيمٌ**) [سورة آل عمران ٣ / ٩٢]، فكلمة (ما تنفقوا) نكرة لفظًا، ولكنها معرفة دلالةً، والقرينة الدالة على المعرفة هي (فإن الله به عليم).

- قوله تعالى: (**وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الأَمْنِ أَوِ الخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ**) [سورة النساء ٤ / ٨٣]، فكلمة (أمر) نكرة لفظًا، ولكنها معرفة دلالةً، والقرينة الدالة على المعرفة هي (أذاعوا به).

- قوله تعالى: (**وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ**) [سورة الأنعام ٦ / ٥٩]، فالكلمات (ورقة – حبة – رطب - يابس) نكرة لفظًا، ولكنها معرفة دلالةً، والقرينة الدالة على المعرفة هي (إلا يعلمها – إلا في كتاب مبين).

- قوله تعالى: (**لِيُقْضَى أَجَلٌ مُّسَمًّى**) [سورة الأنعام ٦ / ٦٠]، فكلمة (أجل) نكرة لفظًا، ولكنها معرفة دلالةً، والقرينة الدالة على المعرفة هي (مسمى).

٢ ــ النكرة لفظًا المَعْرِفَةُ دلالةً بقرينة التمييز العددي:

أرى أن الأعداد مادامت مميزةً فإن ذلك التمييز العددي ينقلها من إطار الإبهام إلى إطار المعرفة؛ كتحديد زمان الحدث بالأيام أو الأشهر... أو تحديد المكان، أو مرات الشيء، أو أعداد الأشخاص... وهكذا، ومن ذلك ما يأتي:

- قوله تعالى: (**وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسَى أَرْبَعِينَ لَيْلَةً**) [سورة البقرة ٢ / ٥١].

- قوله تعالى: (**فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا**) [سورة البقرة ٢ / ٦٠].

- قوله تعالى: (**فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ فِي الحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ**) [سورة البقرة ٢ / ١٩٦].

- قوله تعالى: (**لِلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِنْ نِّسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ**) [سورة البقرة ٢ / ٢٢٦].

- قوله تعالى: (**وَالمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلاثَةَ قُرُوءٍ**) [سورة البقرة ٢ / ٢٢٨].

- قوله تعالى: (**وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا**) [سورة البقرة ٢ / ٢٣٤].

- قوله تعالى: (**فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ**) [سورة البقرة ٢ / ٢٦٠].

- قوله تعالى: (**إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُنزَلِينَ**) [سورة آل عمران ٣ / ١٢٤].

٣ ـ النكرة لفظًا المَعْرِفَةُ دلالةً بالعهد العلمي:

فهناك كلمات لفظها نكرة ولكنها معروفة في ذاتها؛ بحيث لا تحتاج معها إلى سياق، أو قيود، أو حدود لكي تُعرف، وأخرى معارف لفظًا، ولكنها لا تكتفي بالتعريف اللفظي، إذ لا يزال غير معروفٍ حتى يعرفه العلم به، ومن ذلك ما يأتي:

- قوله تعالى: (**وَاتَّقُوا يَوْمًا لَّا تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئًا**) [سورة البقرة ٢ / ٤٨]؛ فكلمة (يومًا) نكرة لفظًا، ولكنها معروفة دلالة دونما الحاجة إلى سياق أو قرينة، فهي وحدَها دالة على أنها يوم القيامة.

- قوله تعالى: (**إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا**) [سورة البقرة ٢ / ٩٦]؛ فكلمة (أول بيت) نكرة لفظًا، ولكنها معروفة دلالة دونما الحاجة إلى سياق أو قرينة، فهي وحدَها دالة على أنها البيت الحرام الذي وضع قواعدَه سيدنا إبراهيم وولده سيدنا إسماعيل.

- قوله تعالى: (**رَّبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا**) [سورة آل عمران ٣ / ١٩٣]؛ فكلمة (مناديًا) نكرة لفظًا، ولكنها معروفة دلالة دونما الحاجة إلى سياق أو قرينة، فهي وحدَها دالة على أنه رسول الله سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم(٣٠).

- قوله تعالى: (**يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا**) [سورة النساء ٤ / ١]؛ فكلمة (نفس واحدة) نكرة لفظًا، ولكنها معروفة دلالة دونما الحاجة إلى سياق أو قرينة، فهي وحدَها دالة على أنه سيدنا آدم عليه السلام.

- قوله تعالى: (**إِن تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا**) [سورة النساء ٤ / ٣١]؛ فكلمة (مدخلا كريمًا) نكرة لفظًا، ولكنها معروفة دلالة دونما الحاجة إلى سياق أو قرينة، فهي وحدَها دالة على أنها الجنة.

- قوله تعالى: (**فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ أَنِ اعْبُدُوا اللَّـهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُ**) [سورة المؤمنون ٢٣ / ٣٢]؛ فكلمة (رسولًا) نكرة لفظًا، ولكنها معروفة دلالة دونما الحاجة إلى سياق أو قرينة، فهي وحدَها دالة على أن المقصود بها سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.

- قوله تعالى: (**إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّـهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ**) [سورة المؤمنون ٢٣ / ٣٨]؛ فكلمة (رجل) نكرة لفظًا، ولكنها معروفة دلالة دونما الحاجة إلى سياق أو قرينة، فهي وحدَها دالة على أنها سيدنا صالح عليه السلام؛ يدل على ذلك عقوبة الصيحة بعدها، فاستُدلَّ بها بالعلم أن ذلك الرجل هو سيدنا صالح.

- قوله تعالى: (**وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَـٰذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ**) [سورة الزخرف ٤٣ / ٣١]؛ فكلمة (رجل) نكرة لفظًا، ولكنها معروفة دلالة دونما الحاجة إلى سياق أو قرينة، فهي وحدَها دالة على أنه أحد رجلين الوليد بن المغيرة، أو حبيب بن عمرو الثقفي([٣١]).

- قوله تعالى: (**وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلا فِي السَّمَاءِ وَلا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ**) [سورة يونس ١٠ / ٦١]، فـ(كتاب) هنا نكرة لفظًا، ولكنها معروفة دلاليا بأنها تعني اللوح المحفوظ الذي كُتب فيه الخبر والقدر.

ويدل على أن الحكم بالتعريف من حيث اللفظ فقط دونما اعتبار الدلالة حُكمٌ خطأ أن هناك معارف لفظية لا يمكن أن يكون وصفُها بالتعريف فقط لكونها واحدة من المعارف، وإنما بوصفها معلومة عهدًا، فليست المعرفةُ إذن معرفةً في ذاتها حتى تكون معروفة عهدًا، ومن ذلك ما يأتي:

- قوله تعالى: (**وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّـهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ**) [سورة البقرة ٢ / ٤٨]؛ فكلمة (رحمة الله) ليست معرفة في ذاتها؛ إذ لا يُعتمد على كونها معرفة فقط بأنها مضافة إلى معرفة، فلابد أن تكون معروفةً بالفعل للمتلقي، إذ لو حكم بالتعريف لفظًا فقط ثم سُئل: ما المقصود برحمة الله؟ لاستحال الاعتماد على اللفظ للاستدلال على أنها الجنة حتى تكون معلومة عهدًا.

- قوله تعالى: (**وَإِذْ نَجَّيْنَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ**) [سورة البقرة ٢ / ٤٩]؛ ومعروف أن لقب (فرعون) لقب أي ملك على مصر القديمة، ولكنه ينصرف عِلمًا إلى فرعون موسى وحدَه.

- قوله تعالى: (**وَلِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا**) [سورة الأنعام ٦ / ٩٢]؛ فكلمة (أم القرى) ليست معرفة في ذاتها؛ إذ لا تزال غير معروفة، حتى يُعلَمَ المراد بها، وهي مكة المكرمة.

- قوله تعالى: (**لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ عِندَ رَبِّهِمْ**) [سورة الأنعام ٦ / ١٢٧]؛ فكلمة (دار السلام) ليست معرفة في ذاتها؛ إذ لا تزال غير معروفة، حتى يُعلم المراد بها، وهي الجنة.

- قوله تعالى: (**وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ**) [سورة القصص ٢٨ / ٩]؛ ومعروف أن لفرعون أكثر من زوجة، ولكنه ينصرف علمًا إلى آسيا وحدَها.

ويدل كذلك على خطأ استبعاد الدلالة والاكتفاء باللفظ في الحكم على اللفظ بالتعريف أن هناك معارف جاءت على الصورة التركيبية نفسها، ولكن المراد بها ليس واحدًا في جميع مواضع ورودها، فلولا العهد العلمي لكانت المعرفة نكرات دلالةً، ومن ذلك تركيب (**رسول الله**)، فهو مركب إضافي (مضاف نكرة + مضاف إليه معرفة)، وعليه فهو معرفة لفظًا لأنه يمثل نوعًا من أنواع المعارف وهو المضاف إلى معرفة، ولكنه يختلف من موضع لآخر، والذي يفرق بينها جميعًا هو العهد العلمي، كما يأتي:

- قوله تعالى: (**لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّـهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ**) [سورة الأحزاب ٣٣ / ٢١]، فـ(رسول الله) معروف علمًا بأنه سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، فهو صاحب القدوة الأول بلا منازع.

- قوله تعالى: (**فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللهِ نَاقَةَ اللهِ وَسُقْيَاهَا**) [سورة الشمس ٩١ / ١٣]، أما (رسول الله) هنا، فالمقصود به هو سيدنا صالح عليه السلام؛ بما علمناه من أن آيته كانت الناقة.

وكذا لفظ (**الرسول**) فهي تمثل نوعًا من أنواع المعارف، وهي المحلى بـ (ال)، ولكنها جاءت في أكثر من موضع في القرآن الكريم دون أن يكون المراد بها جميعًا رسولًا واحدًا، والذي يحدد المقصود هو العهد العلمي، كما يأتي:

- قوله تعالى: (**الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ**) [سورة الأعراف ٦ / ١٥٧]، فـ(الرسول) هنا هو سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم؛ لأنه معلوم أنه هو المذكور في التوراة والإنجيل.

- قوله تعالى: (**يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ الْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّـهَ حَدِيثًا**) [سورة النساء ٤ / ٤٢]، أما (الرسول) هنا

فتحتمل التعريف والتنكير، فلو احتملت التعريف فالمقصود هو سيدنا محمد (صلى الله عليه وسلم)، ولو احتملت التنكير فباعتبار الألف واللام للجنس، وقد أشار أبو حيان إلى ذلك، فقال: «والرسول هنا اسم جنس، ويحتمل أن يكون التنوين عوضا من الجملة الأخيرة، ويكون الرسول محمدًا (صلى الله عليه وسلم)([٣٢])».

وكذلك لفظ (**الكتاب**)، كما في المواضع الآتية:

- قوله تعالى: (**وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلا أَمَانِيَّ**) [سورة البقرة ٢ / ٧٨]، فـ(الكتاب) هنا هو التوراة.

- قوله تعالى: (**فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ**) [سورة البقرة ٢ / ٧٩]، فـ(الكتاب) هنا هو الكتاب المحرف.

- قوله تعالى: (**فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ**) [سورة آل عمران ٣ / ١٨٤]، فـ(الكتاب) هنا نكرة؛ لأنه دال على العموم لا يختص بنبي بعينه.

- قوله تعالى: (**وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ**) [سورة المائدة ٥ / ٤٨] فـ(الكتاب) الأول هو القرآن الكريم، و(الكتاب) الثاني هو الكتاب المقدس.

- قوله تعالى: (**فَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ**) [سورة الإسراء ١٧ / ٧١]، فـ(كتابه) هنا هو كتاب الأعمال الخاص بكل عبد.

٤ – النكرة لفظًا المَعْرِفَةُ دلالةً بالعهد الذِّكْرِيِّ:

وهذا النمط يصدق على ألفاظ يُحكم عليها بالتنكير لفظًا غير أن المتأمل في السياق الذي ورد فيه هذا اللفظ يجد أنه يُكسبه صفةَ التعريف، حيث يُذكر في السياق ما يجعله معروفًا، فيستحيل – دلالةً – أن يظل نكرة مبهمة بالنسبة إلى المتلقي، ومن ذلك ما يأتي:

- قوله تعالى: (**وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَاحِدٍ**) [سورة البقرة ٢ / ٦١]؛ فـ(طعام واحد) نكرة لفظًا، ولكنها معرفة بما ذُكر في سياق الآيات من قرائن تعرف به، وهي قوله تعالى: (**وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَىٰ**) [سورة البقرة ٢ / ٥٧]، يدل على ذلك قول الزمخشري: «**أرادوا ما رزقوا في التيه من المن والسلوى، فإن قلت: هما طعامان فما لهم قالوا على طعام واحد؟ قلت: أرادوا بالواحد ما لا يختلف ولا يتبدل، ولو كان على مائدة الرجل ألوان عدة يداوم عليها كل يوم لا يبدلها، قيل: لا يأكل فلان إلا طعاما واحدًا، يراد بالوحدة نفي التبدل والاختلاف، ويجوز أن يريدوا أنهما ضرب واحد؛ لأنهما معا من طعام أهل التلذذ والترف**(٣٣)».

- قوله تعالى: (**قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ**) [سورة البقرة ٢ / ٦١]؛ فـ(أدنى – خير) نكرتان لفظًا معرفتان معًا بما ذُكر قبلها، وهو قوله تعالى: (**وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنبِتُ الْأَرْضُ مِن بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا**)، فالذي هو أدنى هو (**بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا**) والذي هو خير هو (**المن والسلوى**).

- قوله تعالى: (**فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا**) [سورة البقرة ٢ / ١٤٤]؛ فـ(قبلة) نكرة لفظًا ولكنها معروفة دلالة بما ذكر في سياقها، فهذه القبلة هي قبلة المسجد الحرام، وهو قوله تعالى: (**فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ**).

- قوله تعالى: (**وَجِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ**) [سورة آل عمران ٣ / ٥٠]؛ فـ(آية) نكرة لفظًا ولكنها معروفة دلالة بما ذُكر في الآية السابقة لها، وهي قوله تعالى: (**أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّـهِ ۖ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّـهِ ۖ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ**).

- قوله تعالى: (**أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ**) [سورة الأعراف ٦ / ٦٣]؛ فكلمة (رجل) نكرة لفظًا معرفة دلالة، فالرجل هنا هو سيدنا (نوح) وقد عرفنا ذلك لأنها مذكورة قبلها في الآية رقم (٥٩) قبلها، في حين جاء بعدها قوله تعالى: (**أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ**) [سورة الأعراف ٦ / ٦٩]؛ فالرجل هنا هو سيدنا (هود)، وقد عرفنا ذلك لأنها مذكورة قبلها في الآية رقم (٦٥) قبلها. فرغم أن لفظي الآيتين واحد فإن كلا الرجلين مختلف بحكم العهد الذكري.

٥ ـ النكرة لفظًا المَعْرِفَةُ دلالةً بالعهد الحُضُوريّ:

ولهذا النمط ثلاث صور:

- **الأولى:** أن يكون اللفظ النكرة لفظًا معروفًا دلالةً لوروده في زمان التلقي نفسه، بأن يكون معلومًا لمن شَهِدَه، أو تلقاه، أو حضرَه، وذلك العهد الحضوري ينقل مثل هذه النكرات من نطاق الإبهام إلى التعريف، ومن ذلك قوله تعالى: (**إِذْ هَمَّتْ طَّائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا**) [سورة آل عمران ٣ / ١٢٢]، فالمتلقي الأول

للنص هو المخاطب بهذا النص (منكم) ويعلم تمام العلم أن هاتين الطائفتين هما: (حيان من الأنصار: بنو سلمة من الخزرج، وبنو حارثة من الأوس)([٣٤])، فلا يعني أننا – المتلقي غير المخاطب – لا نعلم المقصود بها أنها نكرة، فهي مبهمة لمن لم يعرفها فقط، ولكنها معروفة بالنسبة إلى من حضرها.

الثانية: أن يكون اللفظ النكرة لفظًا معروفًا دلالة ليس لأنه ورد في زمان التلقي، وإنما لأنه ورد في زمان سابق يمكن الاستدلال عليه بالتواتر جيلا عن جيل، ومن ذلك قوله تعالى: (**قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمَا...**) [سورة المائدة ٥ / ٢٣]، وتثنية كلمة (رجلان) في حد ذاتها تعيينٌ يؤكد تعريفها، فهما رجلان محددان إذن، وعليه وجب استبعاد حكم الشيوع تماما إلى حكم التعيين الذي يعيد النظر في الحكم بالتنكير، وهذان الرجلان هما: (كالب ويوشع)([٣٥])، ويعرف ذلك من حضر ذلك الموقف. ومنه قوله تعالى: (**وَاضْرِبْ لَهُمْ مَّثَلًا رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ**) [سورة الكهف ١٨ / ٣٢]، فهذان الرجلان هما: (قطروس الكافر، ويهوذا المسلم)([٣٦]). ومنه قوله تعالى: (**وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَى المَدِينَةِ يَسْعَى**) [سورة القصص ٢٨ / ٢٠]؛ فهذا الرجل هو (مؤمن آل فرعون)([٣٧]).

- **الثالثة:** أن يكون اللفظ نكرة لفظًا معروفًا دلالةً، غير أن تعيينه غير متفق عليه؛ لكونه ورد في زمن سابق لا يمكن تواتر العلم فيه، لتباعد زمان ومكان حدوثه، فتبقى محض آراء واحتمالات لا يُجزم بأحدها، وتظل معارف معروفة (فقط) لدى من حضرها، ومعارف غير معروفة لدى المتلقي، ومن ذلك قوله تعالى: (**وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ**) [سورة البقرة ٢ / ٣٥] فلفظة (**الجنة**) اختلف فيها المفسرون بين كونها جنة الخلد، أو ربوة على الأرض، أو جنة غير

جنة الخلد... ولم يعرف حقيقتها إلا مَن حضرها بالفعل، وهو سيدنا آدم وزوجه حواء، ولا يُستدل على حقيقتها لتباعد زمن الحضور.ولفظة **(هذه الشجرة)**: حيث اختلف المفسرون في تحديد نوع الشجرة، ولم يعرف حقيقتها إلا مَن حضرها بالفعل، وهو سيدنا آدم وزوجه حواء، ولا يُستدل على حقيقتها لتباعد زمن الحضور أيضًا.

ويدل على أن الحكم بالتعريف من حيث اللفظ فقط دونما اعتبار الدلالة حُكمٌ خطأ أن هناك معارف لفظية لا يمكن أن يكون وصفُها بالتعريف فقط لكونها واحدة من المعارف، وإنما بوصفها معلومة حضوريًّا، فليست المعرفةُ إذن معرفةً في ذاتها، ومن ذلك قوله تعالى: (**ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ**) [سورة البقرة ٢ / ٥٨]؛ فـ(هذه القرية) رغم أنها معرفة لفظًا فإنها لا تزال غير معروفة بذاتها، فإذا رجعنا إلى العهد الحضوري علمنا أن المراد بها بيت المقدس، وقيل (أريحاء) بالشام([٣٨]).

٦ – النكرة لفظًا المَعْرِفَةُ دلالةً بحكم الانفراد:

في هذا النمط ألفاظ نكرات لفظًا، ولكنها انفردت وحدها بالحدث المرتبطة به، فلا يجوز عدُّها نكرات وقد انفردت به دون شيوع ولا إبهام، ومن ذلك:

- قوله تعالى: (**وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِن بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُ خُوَارٌ**) [سورة الأعراف ٧ / ١٤٨]؛ فهذا العجل منفرد بذلك الحدث، فلنا أن نقول – مثلا – (عجل بني إسرائيل)، ويدل على معرفيته أيضًا أنه ذُكر نكرة في هذا الموضع فقط، وذكر معرفة (العجل) في ست مواضع هي: (البقرة ٢ / ٥١ – ٥٤ – ٩٢ – ٩٣)، (النساء ٤ / ١٥٣)، (الأعراف ٧ / ١٥٢).

- قوله تعالى: (**فَبَعَثَ اللَّـهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْءَةَ أَخِيهِ**) [سورة المائدة ٥ / ٣١]؛ وهذا الغراب أيضًا منفرد بحدث الدفن التاريخي الأول في الوجود، ولنا أن نقول –مثلا – (غراب ابني آدم).

- قوله تعالى: (**إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِّنَ السَّمَاءِ**) [سورة المائدة ٥ / ١١٤]؛ فهذه المائدة منفردة بذلك الحدث، حتى صارت عَلَمًا على السورة نفسها، فسميت باسمها.

٧ – النكرة لفظًا المعرفة إرجاءً:

النمط الأول: المعارف المرجأة ببيان المبهم:

في هذا النمط نجد ألفاظًا نكرات لفظًا ومبهمات عند ذكرها أول مرة، غير أن تتابع الأحداث يزيل ذلك الإبهام، إذ تتعين فتصير معروفة، وعليه فهذه النكرات في حقيقتها معرفُ مُرجأةٌ، ومن ذلك ما يأتي:

- قوله تعالى: (**وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّـهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا بَقَرَةً**) [سورة البقرة ٢ / ٢٣]؛ فهذه البقرة في حال ذكرها الأول مبهمة تؤول إلى المعرفة بما يُذكر بعدها من بيان لماهيتها وصفاتها... والحوار بين قوم موسى ونبيهم معروف حتى صارت معرفة بالبيان وذبحوها.

- قوله تعالى: (**قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّـهِ**) [سورة آل عمران ٣ / ١٥]؛ فلفظة (خير) معرفة مرجأة ببيان هذا الإنباء، فلما تبين بقوله تعالى: (**لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّـهِ**) صار معرفة.

- قوله تعالى: (**إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّـهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ**) [سورة آل عمران ٣ / ١٤٥]؛ فلفظة (كلمة) معرفة مرجأة ببيان الكلمة التي تبينت بقوله تعالى: (**اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ**).

- قوله تعالى: (**قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّـهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّـهِ**) [سورة آل عمران ٣ / ٦٤]؛ فلفظة (كلمة) هنا معرفة مرجأة بالبيان المتمثل في قوله تعالى: (**أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّـهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّـهِ**).

النمط الثاني: المعارف المرجأة بتحقق المطلوب:

- قوله تعالى: (**رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ**) [سورة البقرة ٢ / ١٢٩]؛ فكلمة (رسولا) تحققت فيما بعد، وهي سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم (**دعوة أبيه إبراهيم**)، فهي إذن معرفة مرجأة بإجابة الدعاء.

- قوله تعالى: (**أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ مِن بَعْدِ مُوسَىٰ إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَّهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّـهِ**) [سورة البقرة ٢ / ٢٤٦]؛ فكلمة (ملكًا) تحققت فيما بعد وهو (طالوت)، ويتمثل في قوله تعالى: (**وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّـهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا**) [سورة البقرة ٢ / ٢٤٦]؛ فهي إذن معرفة مرجأة بإجابة الدعاء.

- قوله تعالى: (**هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً**) [سورة آل عمران ٣ / ٣٨]؛ فكلمة (ذرية) تحققت فيما بعد في قوله تعالى:

(**فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّـهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ**) [سورة آل عمران ٣ / ٣٩]، فهي إذن معرفة مرجأة بإجابة الدعاء.

- قوله تعالى: (**قَالَ رَبِّ اجْعَل لِّي آيَةً**) [سورة آل عمران ٣ / ٤١]؛ فكلمة (آية) تحققت فيما بعد في قوله تعالى: (**قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا**) [سورة آل عمران ٣ / ٤١].

٨ ــ النكرة إنكارًا المعرفة إضمارًا:

هناك معارف قد يتعمد المتكلم إنكارها ومن ثَمَّ تنكيرها على الرغم من اليقين بمعرفيتها، فتنكيرها إذن ادعاء على غير الحقيقة، فهو إذن معرفة بما هو مضمر في نفس المتكلم، ومعرفة بقرائن السياق، ومن ذلك:

- قوله تعالى: (**وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّـهِ أَوِ ادْفَعُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَّاتَّبَعْنَاكُمْ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّـهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ**) [سورة آل عمران ٣ / ١٦٧]، فكلمة (قتالا) معرفة تعمد هؤلاء تنكيرها على خلاف يقينهم بحقيقة معرفيتها، لأن القتال قائم بالفعل، والدليل على أنهم تعمدوا تنكيرها بالباطل أنهم (**نافقوا**)، وأنهم (**للكفر يومئذ أقرب منهم للإيمان**)، وأنهم (**يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم**)، وأن (**الله أعلم بما يكتمون**).

- قوله تعالى: (**يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِّنَ الرُّسُلِ أَن تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِن بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُم بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ**) [سورة المائدة ٥ / ١٩]، فـ(بشير ونذير) معرفتان موجودتان بالفعل، ولكن هؤلاء تعمدوا إنكاره ومن ثَمَّ تنكيره، والحق أنهم (**جَاءَكُم بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ**).

٩ ـ النكرة لفظًا المعرفة دلالةً باعتبار بالحصر:

لا يمكن أن تُحصر الكلمة النكرة لفظًا بين النفي والاستثناء ثم تظل ـ دلالةً ـ نكرةً، وإنما هي من حيث الدلالة معرفة، ومن ذلك:

- قوله تعالى: (**وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ**) [سورة آل عمران ٣ / ١٤٤]، فـ(رسول) معرفة بحكم الحصر.

- قوله تعالى: (**مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ**) [سورة النساء ٤ / ٦٦]، فـ(قليل) معرفة مستثناة منهم جميعا، فليس هناك شيوع حتى تعد نكرة.

- قوله تعالى: (**وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ**) [سورة المائدة ٥ / ٧٣]، فـ(إله واحد) معرفة بحكم الحصر.

١٠ ـ المعرفة دلالةً باعتبار التحويل عن الأصل:

النمط الأول: النكرات لفظًا المعرفة أصلا، بتأويل حذف الجار:

ومن ذلك ما يأتي:

- قوله تعالى: (**أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِّنْ رَّبِّهِمْ**) [سورة البقرة ٢ / ٥]؛ فالأصل هو: (أولئك على هدى ربهم)، فهي إذن معرفة.

- قوله تعالى: (**وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ المُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ**) [سورة آل عمران ٣ / ١٢١]؛ فالأصل هو: (مقاعد القتال) بدليل أن الأشهب العقيلي قرأها: (**مقاعد القتال**)([٣٩]).

- قوله تعالى: (**أَفَمَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللهِ كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِّنَ اللهِ**) [سورة آل عمران ٣ / ١٦٢]؛ فالأصل فيها: (بسخط الله) بدليل أن قبلها (رضوان الله).

- قوله تعالى: (**فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِّنْهُ**) [سورة النساء ٤ / ١٧٥]؛ فالأصل فيها: (في رحمته)، بدليل قوله تعالى: (**فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِ**) [سورة الجاثية ٤٥ / ٣٠].

- قوله تعالى: (**هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي الأَرْضِ**) [سورة فاطر ٣٥ / ٣٩]؛ فالأصل فيها (خلائف الأرض)، بدليل قوله تعالى: (**وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الأَرْضِ**) [سورة الأنعام ٦ / ١٦٥].

- قوله تعالى: (**تَنْزِيلٌ مِّنْ رَّبِّ العَالَمِينَ**) [سورة الواقعة ٥٦ / ٨٠]؛ فالأصل فيها: (تنزيل رب العالمين)، بدليل قوله تعالى: (**وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ العَالَمِينَ**) [سورة الشعراء ٢٦ / ١٩٢].

النمط الثاني: النكرات لفظًا المعرفة أصلا، باعتبار تحويل التمييز النكرة عن المعرفة:

الصورة الأولى: تحويل التمييز الواقع نكرة عن معرفة تقع فاعلًا:

ومن ذلك ما يأتي:

- قوله تعالى: (**وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا**) [سورة مريم ١٩ / ٤]؛ فالأصل فيها: (واشتعل شيبُ الرأس)، فأصلها إذن معرفة.

- قوله تعالى: (**قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا**) [سورة يوسف ١٢ / ٣٠]؛ فالأصل فيها: (قد شغفها حبُّه)، فأصلها إذن معرفة.

الصورة الثانية: تحويل التمييز الواقع نكرة عن معرفة تقع مفعولا به:

ومن ذلك ما ياتي:

- قوله تعالى: (**وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلامَ دِينًا**) [سورة المائدة ٥ / ٣]؛ فالأصل فيها: (ورضيت لكم دينَ الإسلامِ)، فأصلها إذن معرفة.

- قوله تعالى: (**وَفَجَّرْنَا الأَرْضَ عُيُونًا**) [سورة القمر ٥٤ / ١٢]؛ فالأصل فيها: (وفجرنا عيونَ الأرض)، فأصلها إذن معرفة.

الخاتمة:

أ - هذا البحث يحاول إعادة النظر في مفهومي النكرة والمعرفة (فقط) في ضوء تحكيم الدلالة، فهي وحدها قادرة على إرساء مفهوم مقنع جدا لكلا المفهومين، وقد علمنا أن أكثر النحاة حصروا النكرة في (الشيوع والإبهام)، وأما المعرفة فقد أدرجوا تحتها أقسامًا، فإذا أردنا أن نختبر المعارف في ضوء ما كان يُفترض مسبقًا من أنها لا يمكن أن تتصف بـ(الشيوع والإبهام) اللذين وُصفت بهما النكرة، وجدنا أن هناك معارف يصدق عليها أحيانا الإبهام والشيوع، فلا يصح – من ثَمَّ – وصفُها بالتعريف، ومن ذلك إطلاق الضمائر دون تخصيص، كما جاء في الحديث: «**عن جابر بن عبد الله قال: استأذنت على النبي – صلى الله عليه وسلم – فقال: (مَن هذا؟) فقلت: (أنا)، فقال النبي – صلى الله عليه وسلم - : (أنا أنا)!**»، ووجدنا أن الأعلام الشائعة في جنسها تظل نكرات حتى تخصص بقرينة تميزها عن نظائرها، كأن يشيع اسم (**محمد**) بين مجموعة أصدقاء، أو (**مدرسة مصطفى كامل**) في مصر، ووجدنا أن أسماء الإشارة قد تظل مبهمة دائمًا، كسؤال الجاهل بالشيء الذي يسأل عنه: (**ما هذا؟**)؛ لأنه يشير إلى مبهم بالنسبة إليه، ووجدنا أن الأسماء الموصولة أيضًا قد تظل مبهمة، كاسم الموصول في أسلوب الاستفهام في الحديث السابق، (من هذا؟)، وكقوله تعالى: (**إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا**) [سورة آل عمران ٣ / ٣٥]، فامرأة عمران لا تعرف جنس ما في بطنها، وكذلك المعرف بأل فقد يكون شائعًا في جنسه، كالمتصل بأل الجنسية، كالناس، والخلق، والورى...

ب - لمَّا تبين أن المعارف قد يصدق عليها ما وُصفت به النكرة من الشيوع والإبهام، اتضح أن المشكلة الحقيقية كانت في المعرفة، فهي ما يحتاج بحق إلى

محاولة لوضع أسس ومعايير يصح وصفها بالتعريف متى تحققت، وذلك في ضوء الدلالة فقط؛ بمعنى أنها إذا اقترنت تلك اللفظة بما يجعلها معروفةً صارت معرفة، وكل هذه الاعتبارات تحاول جعلَ تلك اللفظة معروفة، (فقط معروفة)، فكل ما يهمنا أن تكون المعرفة معروفة، لا أن تكون – فقط – واحدة من أنواع المعارف، وقد فطن ابنُ يعيش إلى ذلك المفهوم بقوله: «**اعلم أن المعرفة في الأصل مصدر عرفت معرفة وعرفانًا ، وهو من المصادر التي وقعت موقع الأسماء، فالمراد بالمعرفة الشيء المعروف... وكذلك النكرة بمعنى المنكور**([٤٠])». مع الأخذ في الاعتبار أن هذه اللفظة قد تكون نكرة، فلم يعد من الصحيح وصفها بالتنكير فقط لمجرد أنها لا تندرج ضمن أنواع المعارف، وفي الوقت نفسه لم تعد المعرفةُ معرفةً فقط لكونها تندرج ضمن أنواع المعارف، وإنما هي معرفة باقترانها بما يجعلها معروفة، شأنها شأن النكرة لفظًا، وهذه المعايير هي:

١ – **الاقتران بلفظ يدل على أنه معروف؛** كأن يدل على أنه معلوم، أو معروف، أو مُذاع، أو مُسمّى، أو مُعيّن... وقد سبق أن مفهوم المعرفة باختصار شديد هي ما كان معروفًا، واقترانه بما يفيد كونه معروفًا معلومًا يفيد بأنه معرفة ولو كان ظاهره التنكير، كما في قوله تعالى: (**الحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ**) [سورة البقرة ٢ / ١٩٧]، فكلمة (أشهر) نكرة لفظًا، ولكنها معرفة دلالةً، إذ لا يُعقل أن يحكم على لفظ معلوم (معلومات) بالتنكير ، «والأشهر المعلومات هي: شوال، وذو القعدة، وعشر ذي الحجة».

٢ – **اقتران العدد بتمييز؛** فإن ذلك التمييز العددي ينقلها من إطار الإبهام إلى إطار المعرفة؛ كتحديد زمان الحدث بالأيام أو الأشهر... أو تحديد المكان، أو

مرات الشيء، أو أعداد الأشخاص... وهكذا، ومن ذلك قوله تعالى: (**وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسَى أَرْبَعِينَ لَيْلَةً**) [سورة البقرة ٢ / ٥١].

٣ – **أن تكون معروفة بالعهد العلمي؛** فهناك كلمات لفظها نكرة ولكنها معروفة في ذاتها؛ بحيث لا تحتاج معها إلى سياق، أو قيود، أو حدود لكي تُعرف، وأخرى معارف لفظًا، ولكنها لا تكتفي بالتعريف اللفظي، إذ لا يزال غير معروفٍ حتى يعرفه العلم به، ومن ذلك قوله تعالى: (**وَاتَّقُوا يَوْمًا لَّا تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئًا**) [سورة البقرة ٢ / ٤٨]؛ فكلمة (يومًا) نكرة لفظًا، ولكنها معروفة دلالة دونما الحاجة إلى سياق أو قرينة، فهي وحدَها دالة على أنها يوم القيامة.

٤ – **أن تكون معروفة بالعهد الحضوري؛** ومن ذلك قوله تعالى: (**إِذْ هَمَّتْ طَّائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا**) [سورة آل عمران ٣ / ١٢٢]، فالمتلقي الأول للنص هو المخاطب بهذا النص (منكم) ويعلم تمام العلم أن هاتين الطائفتين هما: (حيان من الأنصار: بنو سلمة من الخزرج، وبنو حارثة من الأوس)، فلا يعني أننا – المتلقي غير المخاطب – لا نعلم المقصود بها أنها نكرة، فهي مبهمة لمن لم يعرفها فقط، ولكنها معروفة بالنسبة إلى من حضرها.

٥ – **أن تكون معروفة بحكم انفرادها؛** كما في قوله تعالى: (**وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّـهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا بَقَرَةً**) [سورة البقرة ٢ / ٢٣]؛ فهذه البقرة في حال ذكرها الأول مبهمة تؤول إلى المعرفة بما يُذكر بعدها من بيان لماهيتها وصفاتها... والحوار بين قوم موسى ونبيهم معروف حتى صارت معرفة بالبيان وذبحوها.

٦ – **أن تكون معرفة مرجأة بالبيان؛** كما في قوله تعالى: (**وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِن بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُ خُوَارٌ**) [سورة الأعراف ٧ / ١٤٨]؛ فهذا العجل منفرد بذلك الحدث، فلنا أن نقول – مثلا – (عجل بني إسرائيل)، ويدل على معرفيته أيضًا أنه ذُكر نكرة في هذا الموضع فقط وذكر معرفة (العجل) في ست مواضع هي: (البقرة ٢ / ٥١ – ٥٤ – ٩٢ – ٩٣)، (النساء ٤ / ١٥٣)، (الأعراف ٧ / ١٥٢).

٧ – **أن تكون معرفة مرجأة بتحقيق المطلوب؛** كما في قوله تعالى: (**رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ**) [سورة البقرة ٢ / ١٢٩]؛ فكلمة (رسولا) تحققت فيما بعد، وهي سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم (**دعوة أبيه إبراهيم**)، فهي إذن معرفة مرجأة بإجابة الدعاء.

٨ – **أن تكون معروفة باعتبار الحصر؛** كما في قوله تعالى: (**وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا إِلَٰهٌ وَاحِدٌ**) [سورة المائدة ٥ / ٧٣]، فـ(إله واحد) معرفة بحكم الحصر.

٩ – **أن تكون معروفة باعتبار التحويل عن الأصل؛** كما في قوله تعالى: (**وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ**) [سورة آل عمران ٣ / ١٢١]؛ فالأصل هو: (مقاعد القتال) بدليل أن الأشهب العقيلي قرأها: (**مقاعد القتال**).

جـ - اتضح أن الحكم بالتعريف من حيث اللفظ فقط دونما اعتبار الدلالة حُكمٌ خطأ؛ وذلك لأن هناك معارف لفظية لا يمكن أن يكون وصفُها بالتعريف فقط لكونها واحدة من المعارف، وإنما بوصفها معلومة عهدًا، فليست المعرفةُ إذن معرفةً في ذاتها حتى تكون معروفة عهدًا، ومن ذلك قوله تعالى: (**وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّـهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ**) [سورة البقرة ٢ / ٤٨]؛ فكلمة (رحمة الله) ليست معرفة في ذاتها؛ إذ لا يُعتمد على كونها معرفة فقط بأنها

مضافة إلى معرفة، فلابد أن تكون معروفةً بالفعل للمتلقي، إذ لو حكم بالتعريف لفظًا فقط ثم سُئل: ما المقصود برحمة الله؟ لاستحال الاعتماد على اللفظ للاستدلال على أنها الجنة حتى تكون معلومة عهدًا.

د - استطاع البحث أن يستدل على خطأ استبعاد الدلالة والاكتفاء باللفظ في الحكم على اللفظ بالتعريف بأن هناك معارف جاءت على الصورة التركيبية نفسها، ولكن المراد بها ليس واحدًا في جميع مواضع ورودها، فلولا العهد العلمي لكانت المعرفة نكرات دلالةً، ومن ذلك تركيب (**رسول الله**)، فهو مركب إضافي (مضاف نكرة + مضاف إليه معرفة)، وعليه فهو معرفة لفظًا لأنه يمثل نوعًا من أنواع المعارف وهو المضاف إلى معرفة، ولكنه يختلف من موضع لآخر، والذي يفرق بينها جميعًا هو العهد العلمي، كما في قوله تعالى: (**لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّـهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ**) [سورة الأحزاب ٣٣ / ٢١]، فـ(رسول الله) معروف علمًا بأنه سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، فهو صاحب القدوة الأول بلا منازع. وأما قوله تعالى: (**فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللهِ نَاقَةَ اللهِ وَسُقْيَاهَا**) [سورة الشمس ٩١ / ١٣]، فالمقصود بـ(رسول الله) هنا هو سيدنا صالح عليه السلام؛ بما علمناه من أن آيته كانت الناقة.

هـ - استطاع البحث أن يستدل على أن الحكم بالتعريف من حيث اللفظ فقط دونما اعتبار الدلالة حُكمٌ خطأ بأن هناك معارف لفظية لا يمكن أن يكون وصفُها بالتعريف فقط لكونها واحدة من المعارف، وإنما بوصفها معلومة حضوريًّا، فليست المعرفةُ إذن معرفةً في ذاتها، ومن ذلك قوله تعالى: (**ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ**) [سورة البقرة ٢ / ٥٨]؛ فـ(هذه القرية) رغم أنها معرفة لفظًا فإنها لا تزال غير معروفة بذاتها، فإذا رجعنا إلى العهد الحضوري علمنا أن المراد بها بيت المقدس، وقيل (أريحاء) بالشام.

و - قد يتعمد المتكلم الزيف، فيُنكر المعرفة بادعاء إبهامها، ويضمر تعريفها، كما في لفظة (قتالا) في قوله تعالى: (**وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّـهِ أَوِ ادْفَعُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَّاتَّبَعْنَاكُمْ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّـهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ**) [سورة آل عمران ٣ / ١٦٧]، فكلمة (قتالا) معرفة تعمد هؤلاء تنكيرها على خلاف يقينهم بحقيقة معرفيتها، لأن القتال قائم بالفعل، والدليل على أنهم تعمدوا تنكيرها بالباطل أنهم (**نافقوا**)، وأنهم (**للكفر يومئذ أقرب منهم للإيمان**)، وأنهم (**يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم**)، وأن (**الله أعلم بما يكتمون**).

ز- المعرفة تكون معروفة بالنسبة إلى بعض متلقِّي النص، وغيرَ معروفةٍ لبعضهم الآخر، وقد تكون النسبية بين طرفي الحوار (المتكلم والمتلقي) بين تعريفين مختلفين؛ بمعنى أن يكون اللفظ مفهومًا بالنسبة إلى أحد الأطراف المتعلقة باللفظ بشكلٍ، ومفهومًا لدى الآخر بشكل آخر، فكل منهما يراه معروفًا، ولا شك أن أحد الطرفين يراه على حقيقته، والآخر يراه على غير حقيقته، ولا يُنظر إلى كونه نكرة لفظًا، فمناط الأمر هو أن يكون معروفًا فقط، ومن ذلك ما يأتي:

- قوله تعالى: (**كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا قَالُوا هَـٰذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا**) [سورة البقرة ٢ / ٢٥]، فكلمة (ثمرة) نكرة لفظًا، ولكنها معرفة دلالة على وجه الظن بالنسبة لأهل الجنة، الذين ظنوا أنها مثلُ الذي أوتوه من قبلُ، ولكن الحقيقة على غير تلك الصورة، يدل عليه قوله تعالى: (وأتوا به متشابهًا).

- قوله تعالى: (**وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ**) [سورة البقرة ٢ / ٣٠]، فكلمة (خليفة) نكرة

لفظًا، ولكنها معرفة دلالة على وجه الظن بالنسبة للملائكة الذين ظنوا أن هذا المخلوق سيفسد في الأرض ويسفك الدماء، ولكن الحقيقة على غير تلك الصورة، يدل عليه قوله تعالى: (**إِنِّي أَعْلَمُ مَا لا تَعْلَمُونَ**) [سورة البقرة ٢ / ٣٠].

- قوله تعالى: (**فَأَمَاتَهُ اللَّـهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ**) [سورة البقرة ٢ / ٢٥٩]، فكلمة (يومًا) نكرة لفظًا، ولكنها معرفة دلالة على وجه الظن بالنسبة للنائم الذي ظن أن فترة رقوده يوم واحد أو جزء منه، ولكن الحقيقة على غير تلك الصورة، يدل عليه قوله تعالى: (**قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ**) [سورة البقرة ٢ / ٢٥٩].

- قوله تعالى: (**لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّـهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ**) [سورة البقرة ٢ / ٢٧٣] فكلمة (أغنياء) نكرة لفظًا، ولكنها معرفة دلالة على وجه الظن بالنسبة لمن يرى حال هؤلاء الفقراء المتعففين، ولكن الحقيقة على غير تلك الصورة، يدل عليه قوله تعالى: (**يَحْسَبُهُمْ**).

ح - إنَّ إعادة النظر في مفهومَي النكرة والمعرفة سيتبعه إعادة النظر أيضًا فيما استقر عليه النحاة في القواعد النحوية المؤصلة على المفهومين التقليديين وعلى سبيل المثال:

١ - نجدهم يشترطون في (صاحب الحال) أن يكون معرفة، ثم يسمحون بإمكان مجيئه نكرة بمسوغ، كأن تتقدم الحال على صاحبها، أو يخصص صاحبها بوصف أو إضافة، أو يُسبق بنفي أو نهي أو استفهام... وأرى أنه يمكن أن يُضاف إلى هذه المسوغات أن تكون النكرة معرفةً دلاليًّا، وهو مسوغ دلالي يحمل في داخله معنى التعريف دونما الحاجة إلى زيادة لفظية كتخصيصه بصفة

أو مضاف إليه، أو ذِكْر نفي أو نهي أو استفهام قبله، ودونما الحاجة إلى التقديم والتأخير.

٢ – ومن ذلك أيضًا قاعدة (الجمل بعد النكرات صفات، وبعد المعارف أحوال)، كأن نقول: (نظرت إلى عصفور يغرد)، فإن الجملة الفعلية (يغرد) في محل جر صفة؛ لأنها بعد النكرة (عصفور)، وكأن نقول: (رأيت الطالب يذاكر)، فإن الجملة الفعلية (يذاكر) في محل نصب حال؛ لأنها بعد المعرفة (الطالب)، غير أن النظر إلى ما قبل الجملة (معرفة أو نكرة) باعتبار الدلالة قد يقلب القاعدة رأسًا على عقب، لأن النكرة لفظًا قد تكون معرفة دلالة، وعليه فأولى بالجملة بعدها أن تنصب على الحال لثقل كفة الدلالة على اللفظ، كما في قوله تعالى: (**كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَّسُولًا مِّنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ ءَايَاتِنَا**) [سورة البقرة ٢ / ١٥١]، فإن (رسولا) نكرة لفظًا معرفة دلالةً، فلا شك أن المراد به رسول الله سيدنا محمد (صلى الله عليه وسلم)، فلا يجوز فيه التنكير، ولما كان معرفة حُقَّ لجملة (يتلو) أن تأخذ محل النصب على الحال لا الصفة.

الهوامش

[١] - أسرار العربية ١٧٥

[٢] - شرح تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد لابن مالك ١ / ١١٤

[٣] - صحيح مسلم – كتاب الآداب - باب كراهة قول المستأذن: أنا، إذا قيل: مَن هذا؟ – رقم ٢١٥٥ – ص ١٠٣٢، ومسند احمد بن حنبل ١٤١٨٥

[٤] - شرح التسهيل لابن مالك ١ / ١٦٦

[٥] - شرح التسهيل لابن مالك ١ / ١١٦

[٦] - ظاهرة التخفيف في النحو العربي للدكتور أحمد عفيفي ٢٩٦

[٧] - الدر المصون للسمين الحلبي ٨ / ٢٨٨

[٨] - شرح التسهيل لابن مالك ١ / ١٧٦

[٩] - شرح التسهيل ١ / ١٧٦، والبيت من الطويل لطرفة بن العبد في ديوانه ٥٧، وجمهرة اللغة بلا نسبة ١ / ٣٤٣، ٦٤٤/٢، وشرح أبيات سيبويه ٢ / ٢٨٧، والتذييل والتكميل – باب الاسم العلم ٢ / ٣٢٤

[١٠] - شرح التسهيل ١ / ١٦٧

[١١] - شرح التسهيل لابن مالك ١ / ١٦٦

[١٢] - شرح التسهيل لابن مالك ١ / ١٨٢

[١٣] - ينظر التبيان في إعراب القرآن ٢ / ١٠٥٦

[١٤] - ينظر شرح التصريح ١ / ١٧٣

[١٥] - شرح التسهيل ١ / ٢١٢

[١٦] - ينظر شرح التصريح ١ / ١٧٣

[١٧] - شرح التسهيل ١ / ٢١٢

[١٨] - شرح التسهيل لابن مالك ١ / ٢٥١

[١٩] - سورة يس ٣٧

[٢٠] - البيت من الكامل، وصاحبه غير معروف، ينظر: خزانة الأدب ١ / ٣٥٧، وشرح ابن عقيل ٣ / ١٩٦، وشرح التصريح ٢ / ١١٤

[٢١] - شرح ابن عقيل ٣ / ١٩٥ - ١٩٦

[٢٢] - شرح التصريح ٢ / ١١٤

[٢٣] - ينظر شرح الأشموني ٢ / ٢٤٤

[٢٤] - التبصرة والتذكرة ١ / ٣٤٥

[٢٥] - البيت مجهول النسبة، وهو من البسيط، ينظر همع الهوامع ١ / ٨٠، وبلا نسبة في أوضح المسالك ١ / ١٦٨

[٢٦] - شرح التسهيل لابن مالك ١ / ٢٥٢

[٢٧] - أسرار العربية ١١٥

[٢٨] ـ البيت من الطويل لرشيد بن شهاب اليشكري، ينظر الجنى الداني بلا نسبة ١٩٨، وشرح التصريح ١ / ١٥١

[٢٩] ـ الكشاف للزمخشري ١ / ٤٠٥

[٣٠] ـ الكشاف ١ / ٦٧٨

[٣١] ـ الكشاف ٥ / ٤٣٨

[٣٢] ـ البحر المحيط ٣ / ٢٦٣

[٣٣] ـ الكشاف ١ / ٢٧٥

[٣٤] ـ الكشاف ١ / ٦١٨ ـ ٦١٩

[٣٥] ـ الكشاف ٢ / ٢٢١

[٣٦] ـ الكشاف ٣ / ٥٨٥

[٣٧] ـ الكشاف ٤ / ٤٨٩

[٣٨] ـ الكشاف ١ / ٢٧٢

[٣٩] ـ معجم القراءات د. عبد اللطيف الخطيب ١ / ٥٦٧

[٤٠] ـ شرح المفصل لابن يعيش ٥ / ٨٥

مراجع البحث:

١ - أسرار العربية لابن الأنباري – تحقيق محمد حسين شمس الدين – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – ١٩٩٧م

٢ - التبيان في إعراب القرآن للعكبري – تحقيق سعد كريم الفقي – دار اليقين – الطبعة الأولى ٢٠٠١.

٣ – التذييل والتكميل في شرح كتاب التسهيل لأبي حيان الأندلسي – تحقيق د. حسن هنداوي – دار القلم دمشق – دت.

٤ - تفسير البحر المحيط – لأبي حيان الأندلسي – تحقيق الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، والشيخ علي محمد معوض – دار الكتب العلمية – بيروت لبنان – ١٩٩٣.

٥ – جمهرة اللغة لابن دريد – تحقيق رمزي منير بعلبكي – دار العلم للملايين – ط١ – ١٩٨٧م.

٦ – الجنى الداني في حروف المعاني – للحسن بن قاسم المرادي – تحقيق : د. فخر الدين قباوة ، و د. محمد نديم فاضل – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – الطبعة الأولى – ١٩٩٢م .

٧ - خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب للبغدادي – تحقيق عبد السلام هارون – الخانجي – القاهرة – الطبعة الأولى – ١٩٩٧م - دار الشروق – الطبعة الثالثة – ١٩٧٩.

٨ – الدر المصون في علوم الكتاب المكنون – لأحمد بن يوسف المعروف بالسمين الحلبي – تحقيق أحمد محمد الخراط – دار القلم – دمشق – بدون تاريخ.

٩ – ديوان طرفة بن العبد – شرح الأعلم الشنتمري – تحقيق درية الخطيب ولطفي الصقال – المؤسسة العربية للدراسات والنشر – بيروت – ط٢ – ٢٠٠٠.

١٠ – شرح أبيات سيبويه للسيرافي – تحقيق د. محمد علي الريح هاشم – مكتبة الكليات الأزهرية – دار الفكر للطباعة والتوزيع – القاهرة – ١٩٧٤م.

١١ - شرح الأشموني على ألفية ابن مالك – تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد – دار الكتاب العربي – بيروت – لبنان – الطبعة الأولى – ١٣٧٥هـ

١٢ - شرح التسهيل (تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد) لابن مالك الطائي الأندلسي – تحقيق محمد عبد القادر عطا ، و طارق فتحي السيد – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – الطبعة الأولى – ٢٠٠١ م

١٣- شرح التصريح على التوضيح على أوضح المسلك لابن هشام - للشيخ خالد الأزهري – مطبعة عيسى الحلبي – القاهرة – بدون تاريخ .

١٤ - شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك – تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد – دار التراث – القاهرة – الطبعة العشرون – ١٩٨٠م

١٥- شرح المفصل لابن يعيش – صححه وعلق عليه جماعة من العلماء بعد مراجعته بمعرفة مشيخة الأزهر الشريف - طباعة إدارة الطباعة المنيريَّة – بدون تاريخ .

١٦ - صحيح مسلم للإمام مسلم بن الحجاج – تقديم : السيد / محمد مرتضى الزبيدي – دار طيبة – الرياض ١٤٢٦ هـ .

١٧ - ظاهرة التخفيف في النحو العربي – د . أحمد عفيفي – الدار المصرية اللبنانية – الطبعة الأولى – ١٩٩٦ م.

١٨ - الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل - للزمخشري – تحقيق عادل أحمد عبد الموجود ، وعلى محمد معوض ، وفتحي عبد الرحمن أحمد حجازي – مكتبة العبيدكان – الرياض – الطبعة الأولى - ١٩٩٨ .

١٩ – مسند الإمام احمد بن حنبل – تحقيق محمد عبد القادر عطا – دار الكتب العلمية – بيروت لبنان – ٢٠٠٨م.

٢٠ – معجم القراءات – الدكتور عبد اللطيف الخطيب – دار سعد الدين – دمشق – الطبعة الأولى – ٢٠٠٢.

٢١ - همع الهوامع في شرح جمع الجوامع – للسيوطي – تحقيق د . أحمد شمس الدين – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – ١٩٩٨م .

Abstract

The present paper attempts to reconsider the concepts of indefiniteness and definiteness based (only) on rules of significance, as they alone can provide a satisfactory concept for both indefiniteness and definiteness. Most grammarians had confined indefiniteness to commonness and ambiguity while definiteness had its sub-sections. Still, unlike what was previously assumed, some definite items may be common and ambiguous. Hence, they may not be called definite. The real problem, then, is with the definite. It is what really needs rules and criteria for definiteness in the light of significance only. In other words, if a word is associated with what makes it definite, it lies in the domain of definiteness.

Keywords*: indefiniteness, definiteness, conceptual uncertainty, usage*